رحلة في مملكة خرافية

مشيت فيها شارعا شارعا ..
أنشد شيئا ضائعا ..
ومثلما خسرتها منازلا خسرتها مطالعا
ثم أتيت راجعا أجر ذيل الاغتراب
وأمضغ الحسرة والسباب
في الركن من خمارة قديمة رخيصة الشراب

***

في شارع الحب لقيت الالسن المطليه ..
بالكلمات الغزلات والرقة والفطانة العصرية
ووردة بيضاء في الياقات والصدور
تعيش ساعة ثم تموت بين الاسترخاء والجشاء
رأيت « روميو » يرسل النكتة بين الندماء
وهو يدس في قميصه المشجر الحرير
ـ لقاء تركه « جولييت » ..
لجاره الثري ـ حفنتي أوراق بنكنوت
وجدت ليلى العامريه ..
تحمل طفلين بحجرها وهي تمد وجبة العشاء
لاصقة بزوجها التاجر
وحين تخبو النار تحت الشاي آخر المساء
تلقمها شعر حبيبها الشاعر
ثم تغني غنوة بلهاء سوقيه !!

***

في شارع الفروسيه ..
طالعت رسم الخوف يملأ السقوف والجدران والعمدان
وفي الطريق كان قاتل جبان ..
يكمن في الظلام كي يطعن من خلف بلا مقاتله
وغاص نصله في ظهر عابر جبان
آثر جنة الفرار دونما مصاوله ..
والصمت يلعن القاتل والقتيل ..
أبصرت خيل النجدات تخدم النساء في البيوت
واجمة لا تقرب الزاد كأنها تريد أن تموت
وسير الرجال والمبارزات « كان يا ما كان »
عنترة وعقبة وطارق الاندلس الهمام
تضمهم مخطوطة صفراء في رف كأنه التابوت
تحت عظام « دون كيشوت » ..

***

في شارع الحكمة كان العلماء والساسة والمهرجون
والشعراء ورجال الدين والقانون ..
يجتمعون في وليمة سرية اقامها السلطان
وبعدما يقتسمون ثمن الكذب الجهري والسكوت
يستلهمون خطب الصنائع المحنكين والخصيان
وحين يصدر الحكم بأن يموت ..
سقراط والمسيح وابن رشد خشية على الرعاع
وان يجر من ثيابه أبو العلاء ..
لانه في مجلس الاشراف لا يجيد الاستماع
يصفقون حتى تسقط الذراع ..
ويوجزون حكمة الحياة في الرضى والاقتناع
وفي اتباع ما عليه يعقد الاجماع
معقبين باقتباس آية من الانجيل او من القرآن
ومحبطين خاطرا عن الانسان كم يهون
يوم تسير رحلة الضمير من شواطىء البطون

***

في شارع السلام ..
ساءلني التتار ساعتين قلّبوا الجيوب والحزام
وبعد ان تثبتوا أني بلا سلاح سجلوا رقم بطاقتي
وأطلقوا خلفي كلاب الصيد في الظلام ..
وفي الحقول في المستشفيات في مدارس الصبيان
سمعت لكنة التتار تثقل اللسان
وفجأة فكرت ان اعود لولا شدني الى الامام
مشنقتان قامتا وجثتان ..
واذ دنوت منهما عرفته لمحته يطل في الوجهين
لكنه هنا فتى غرير يكمل العشرين ..
وهو هناك شيخ طيب يقارب الستين ..
بكيت « جيفارا » العزيز مرتين
لانني شهدته في لحظة يقتل قتلتين !!

كامل أيوب